



استثار أحد تصریح للمبعوث الأممي إلى سوريا، ستيفان دي ميستورا، المعارضة السورية، في قوله إنها "لم تنتصر". لم يقل إنها انهزمت، فهي موجودة، وما زالت هناك مناطق تحت سيطرة كتائب تنضوي تحت مسمى الجيش الحر. وباتت روسيا تتفاوض مع عديدين منهم، لتحقيق سياسة "خفض التوتر". وأيضاً تفاوض روسيا التنظيمات التي هي سلفية، ولم تطرح سوى تأسيس دولة إسلامية، بعضاً قریب من جبهة النصرة، وبعضاً تابع لدول إقليمية، ويلتزم سياساتها.

اعتمد دي ميستورا على متحولين، هما سيطرة جبهة النصرة (أو هيئة تحرير الشام) على محافظة إدلب، على الرغم من أن هذا لم يعن انتهاء وجود كتائب تابعة للجيش الحر، وأن المواطنين الذين فجرّوا الثورة يتظاهرون ضدها، ويريدون رحيلها. وأن قوات حزب الله والمليشيا الطائفية العراقية والحرس الثوري الإيراني و"الجيش العربي السوري" حققت تقدماً في بادية تدمر وريف الرقة، وتتقدم نحو دير الزور، حيث قيل إنها فكت الحصار عن القوات التي حاصرتها "داعش" منذ سنوات. وهذا ما أظهر أن النظام "يُنتصر"، وبات التحضير لإعلان النصر المحتوم على "الإرهاب". لا أريد هنا تناول "داعش" التي تنهار بسرعة، فقد كتبت عنها: داعش الروسية، وبالتالي كان الهدف من التقدم هو استباق ما يحضر "التحالف الغربي" له، والذي يريد السيطرة على الجزء الآخر من دير الزور.

لكن. في كل الأحوال، لا يتعلّق الأمر بمدى سيطرة النظام أو المعارضة، فالثورة بدأت قبل السيطرة على أي منطقة، وشملت معظم سوريا بجهود شعبي. وكانت خطيئة بعض أطراف المعارضة أنها دفعت نحو هذا الشكل من السيطرة، بعد أن نصب النظام كميناً لها بانسحابه من مناطق واسعة، نتيجة ضعف قوته العسكرية. لهذا وقعت في فخ تدمير المدن من طiran النظام، وفي فخ الحصار المميت، من دون أن تستطيع فعل شيء مفيد، بل فقط حافظت على مناطق ما زالت مسيطرة

عليها. وبالتالي، لا شك في أن هناك ضعفاً في وضع الكتائب المسلحة، سواء نتيجة الاختراق "الجهادي" أو نتيجة التدخل الروسي الذي هو وحده الذي عدّ (إلى الآن) ميزان القوى. وهو ما يصرّ به الروس (وما يقوله الإيرانيون) بأنهم من منع سقوط النظام.

الآن، لن يستطيع دي ميستورا القول إن النظام انتصر، فهو لم ينتصر، بل كاد يُهزم، لو لا تدخل إيران بكل أتباعها، ثم روسيا بكل قوتها. وعلى الرغم من ذلك لم ينتصر، ولا انتصرت روسيا بعد سنتين من تدخلها الوحشي. ولقد تهدمت البلد والنظام، وكل داعميها يحاولون بكل القدرات العسكرية المتفوقة والرهيبة، بعد أن اتبعوا سياسة "التدمير الشامل". ويمكن أن يستمر الوضع سنوات أخرى، لأن الشباب الذي صنع الثورة، وعلى الرغم من كل التدخلات ضده، سيستمر، ولم يعد أمامه خيار غير ذلك. وبالتالي، فإن "التعديل" في ميزان القوى الآن معنوي أكثر منه حقيقياً، يصبّ في مسار إنهاء الثورة، وسحق الشعب الذي ما زال يريد إسقاط النظام، حيث يمكن أن تؤدي السيطرة على "كل سوريا" بقوة روسيا، إلى حرب عصاباتٍ ضد كل الجيوش التي باتت تحتل سوريا، وضد ما تبقى من قوات النظام، وتبقى السيطرة وبالتالي هشة، وبلا معنى.

ربما كان دي ميستورا يهدف، ضمن تكتيكات أميركا وروسيا وحتى دول إقليمية أخرى، إلى "إقناع" المعارضة (لا تملك التأثير أصلاً على القوى التي تقاتل النظام) بالقبول بما يطرح الروس، أي بقاء الأسد "في المرحلة الانتقالية"، لكن موافقة هؤلاء لا تغير شيئاً في الواقع، لأنها لن تتحول إلى قرار ملزم للقوى في سوريا التي سترفض الأمر. ولن يؤدي ذلك إلى تحقيق "السلام والاستقرار". وبالتالي، لن يعود جزء كبير من لجأ خارجاً، أو فرّ من الجندية، وستبقى روسيا وإيران متوليتين حماية النظام، ومحرضتين للمواجهة في حرب مفتوحة.

لا أحد يفكّر بإمكانية نجاح حل دون رحيل الأسد. وأولاً رحيل الأسد. وهذا ليس رأياً، بل واقعة، حيث لا استقرار بوجود الأسد.

العربي الجديد

المصادر: